رواية

رقية هشام طه

رمق

صمت بين الأنفاس

رمق

صمتُ بين الأنفاس

لماذا أتنفّس إن لم أكن حيًّا؟

ولماذا أستيقظ، إن كنتُ ما زلت نائمًا؟

هل هذه نهايتي؟ أم نهايتي بدأت منذ أن وُلدت؟

المقدّمة

لا أتذكر متى بدأت، أو كيف وصلت.

كل شيء كان رماديًّا. لا، ليس رماديًّا... بل خاليًا من اللون، من الضوء، من الزمن.

استيقظت على صوت لم أسمعه، ونبض لم يكن لي.

كنت هناك... أو هنا... لا فرق.

أحاول أن أكتب، لكن الكلمات تذوب بين يديّ.

أحاول أن أصرخ، لكن الصوت لا يعرف طريقي.

أحاول أن أتذكّر... لكن الذكرى تحترق قبل أن تصل.

قالوا إنني "كنت".

وقالوا إنني "ما زلت".

لكن لم يقل أحدٌ لي من أكون.

ورأيت الكلمة محفورة في الجدار المقابل:

"رَمق"

هل هو اسمي؟

أم عقابي؟

أم آخر ما تبقّى منّي؟

استيقظتُ على صمت. صمت ليس ككل الأصوات التي عرفتها من قبل. لا صوت خطوات، لا همس، لا أنفاس أخرى سوى أنفاسي، لكن حتى تلك كانت غريبة، كما لو أنها ليست لي. ذهبتُ لألمس وجهي، لكن يدي مرت على سطح خالٍ، كأنني مجرد ظل، كأنني حلمٌ لم يكتمل. الغرفة

لم تكن غرفة، كانت فراغًا. ألوانه باهتة، لكنه ليس رماديًّا، هو فراغ يبتلع كل شيء، حتى الهواء.

أين أنا؟ وكيف وصلتُ إلى هنا؟ هل هذا حلم؟ هل أنا ميتة؟ أسئلة تدور في رأسي، ولكن الإجابات غائبة كأنها نسيت طريقها إليّ. تذكرت كلمة واحدة، خطّت على جدران هذا الفراغ: "رمق". تلك الكلمة ترددها نفسي بصوت خافت، كأنها آخر رسالة من داخل نفسي قبل أن تنطفئ.

أحاول أن أركّز، لكن الأفكار تتشتت. صوت مجهول يناديني باسمي الذي لا أعرفه. هل هو اسمي؟ أم هو لقبٌ أُعطيته لنفسي؟ الصوت يزداد وضوحًا، لكنه يأتي من داخل رأسي، ليس من الخارج. يحثني على الحركة، على البحث، لكنه لا يخبرني إلى أين.

أشعر بنبض بارد يملأ صدري، وأحيانًا يتحول إلى ثقلٍ يضغط على حنجرتي، يمنعني من التنفس بحرية. أنظر حولي، فلا شيء يتغير، إلا أن الظلال تتكاثف أحيانًا، وكأنها تراقبني. أريد أن أصرخ، لكن صوتي خافت جدًا، كأن الهواء من حولي يلتهمه.

مرة أخرى، تلك الكلمة "رمق" تظهر أمامي، لكن هذه المرة مكتوبة على يدي. أنظر إليها وألمسها، وكأنها تذكار من زمن بعيد، أو علامة تحذير. هل هي تعني نهاية أم بداية؟

أغمض عينيّ لأستجمع قواي، لكن عند فتحها أجد نفسي في مكان مختلف، غرفة أضيق، ظلام أكثر. أصوات خافتة تتردد، لكن لا أستطيع فهمها. أراقب نفسي، أو ربما شخصًا يشبهني، لكنها نسخة مشوشة، كأنها انعكاس في مرآة مكسورة.

هل أنا هنا؟ أم أني أتجول بين عوالم لا تنتمي إلى الواقع؟ كل محاولة لفهم تزيد من إحساسي بالضياع، وكأن عقلي يذوب ويتلاشى مع كل لحظة تمر.

أسمع مرة أخرى النداء، لكنه هذه المرة يحمل اسمًا غريبًا، ليس اسمي، لكنه يعيدني إلى نقطة البداية. أسئلة بلا أجوبة، وصرخة داخلي تختنق في هذا الصمت.

هل كان هناك يومًا "أنا" حقيقية؟ أم أنني مجرد وهم، مجرد رمق من فكرة ما؟

أشعر بأنني أسير بلا أقدام، كأن الأرض لا تقبلني، وكأنني مجرد خيال يطوف بين الجدران. الجدران التي تزداد تضييقًا، تقترب مني كل لحظة، تأكل ما تبقى من أنفاسي، تصمتُ بين الأنفاس.

الظلال تتحرك، ولكنها لا تترك أثرًا، لا تملك جسدًا، لا صوتًا. أراها في زوايا عينيّ، ألتفت فجأة فلا أجد شيئًا. هل هم مجرد جزء من وهمي؟ هل أصبحتُ ذلك الصمت الذي يخافه الجميع؟

ألمس وجهي، فشعورُ البرودة يعتصر أطرافي، كأنني بدأت أفقد دمائي، كأنني رمقٌ يتلاشى في الفضاء، جسدٌ بلا حياة. ولكن داخلي يحترق، لا أستطيع أن أنسى، لا أستطيع أن أهرب.

تتكرر الكلمة في رأسي: "رمق". ليست مجرد كلمة، إنها وميض، بقايا حياة أو ربما لعنة لا تنتهي. أتساءل: هل يمكن للرمق أن يكون بداية؟ هل يمكن للنهاية أن تكون بداية جديدة؟

أرى أمامي بوابة من نور خافت، أشعر بدعوتها. أقترب، وكل خطوة تزيد من وضوح الصوت الداخلي. لكنه لم يعد نداءً، بل صمتًا ثقيلاً، صمتٌ بين الأنفاس، حيث لا كلمات، ولا همسات، فقط الفراغ.

عندما ألمس عتبة البوابة، أعود فجأة إلى الغرفة الأولى، إلى ذلك الفراغ الخالي. أُعيد إلى نقطة البداية، كأنني محكوم بأن أعيد التجربة، أن أعيش الألم من جديد، أن أبحث عن نفسي وسط الضياع.

الساعة تدق، لكنها لا تتحرك، الزمن متوقف، وكأن حياتي معلقة في لحظة واحدة لا تنتهي. أغمض عينيّ، وأفتحها، فأجد نفسي محاصرة بين الماضي والمستقبل، بين الحلم والواقع.

النداء الأخير يأتيني هذه المرة بصوتٍ قريب، نبرة مألوفة لكنها بعيدة، كأنها صدى قديم. يسميني باسم لا أعرفه، يدعوني للرحيل، للهرب، لكن أين؟ وإلى ماذا؟

كل ما أريده هو أن أفهم، أن أعرف، أن أعيش.

لكن هل تلك هي الحقيقة؟

أم أن الحقيقة مجرد رمقٍ... بين الأنفاس.

كل شيء بدا مألوفًا رغم الغرابة.

كأنني مررت بهذه اللحظة من قبل، كأنني زرت هذا المكان لكن في كابوسٍ نسيت أن أستيقظ منه.

أغمض عينيّ لأهرب... لكن هناك، في ظلام الجفن، أرى أوضح.

ظلالٌ تتكوّن... وجوهٌ تتغيّر... صرخات مكتومة... يداي ملطختان بشيء ما، لا أستطيع تحديده.

هل هذا حبر؟ دم؟ بقايا حلم قديم؟

أفتح عينيّ بعنف، فأجدني أمام مرآة. لم تكن هناك منذ لحظات... من وضعها؟

أنظر... فلا أرى شيئًا. نعم، لا شيء.

لا انعكاس. لا وجه. لا ملامح.

أنا؟ أين أنا؟

أرفع يدي ببطء، تتحرك، لكن في الفراغ.

صوت خافت خلفي يقول: "أنتِ لستِ هنا."

ألتفت... لا أحد.

الصوت يعود: "أنتِ كنتِ هناك، وما زلتِ... في المنتصف."

المنتصف؟

منتصف ماذا؟

الحياة؟ الموت؟ الذاكرة؟

رمق؟

كل شيء يدور في نفس الدائرة... كل سؤال يولد سؤالًا أعمق، وكأنني غارقة في بئرٍ لا قاع له.

أتقدم، فجأة الجدران تذوب. لا أعلم كيف، لكنها تنساب كالماء، وتترك خلفها مساحة مفتوحة، بيضاء بالكامل.

أشعر بأنني عارية من كل شيء... لا جلد، لا أفكار، لا ذكريات.

لكن في المنتصف، شيء صغير... صندوق خشبي، مغطى بالغبار.

أقترب.

يُفتح الصندوق من تلقاء نفسه، ببطء، كأن الهواء من حولي يهمس له.

في الداخل... صورة.

صورة ممزقة.

فتاة بملامح باهتة، تقف أمام بابٍ معدني، خلفها أشخاص دون وجوه.

هل هذه أنا؟

هل كنت هناك؟

ما هذا الباب؟ ولماذا أشعر بأنني يجب أن أدخله؟

أن أفتحه... أن أهرب منه... أو إليه.

ببطء، يبدأ الصوت في الداخل يتغير...

لم يعد نداءً...

أصبح نبضًا.

نبض لا يخصني.

شيء بداخلي يتحرّك...

ذاكرةٌ محبوسة...

وجهٌ يظهر فجأة أمام عيني، ثم يختفي.

"عودي."

صوت ناعم، أنثوي.

كأنه منّي... أو من شيء فيّ لم أكتشفه بعد.

لكن إلى أين أعود؟ ومن أنا أصلًا؟

أشعر أني قاب قوسين من الحقيقة... لكنها تفرّ مني كلما اقتربت.

كأنني أُعدت للحياة لكني لم أطلب العودة.

كأن كل رمق فيّ يقاومني.

أخطو خطوة إلى الخلف، فيسقط الصندوق من يديّ ويختفي قبل أن يصل إلى الأرض، وكأنه لم يكن موجودًا. أنظر حولي، المساحة البيضاء تتسع حتى أشعر أنني ذرة في فراغ بلا نهاية.

"عودي"... الكلمة ما زالت تتردد في رأسي، لكن الصوت تغيّر، أصبح أقرب، كأنه يلتف حولي. أبحث بعيني عن مصدره فلا أرى شيئًا.

"أعود إلى أين؟" أسأل وأنا أرتجف.

لا أحد يجيب.

فجأة، الأرضية تحت قدمي تتحول إلى زجاج شفاف. أرى من خلاله أعماقًا لا نهائية. أرى جسدي – أو شيئًا يشبهني – ممددًا على سرير معدني، مقيدًا بسلاسل سوداء، والظلال تدور حوله ببطء. أشعر أنفاسي تتسارع، أضع يديّ على رأسي حتى لا أصرخ.

"هذا ليس أنتِ... هذا ما تركتِه خلفك"، يقول الصوت.

"خلفي؟ متى؟ أنا لا أتذكر شيئًا!"

أغلق عينيّ بقوة، لكن المشهد يزداد وضوحًا. أرى الفتاة – أنا – تفتح عينيها فجأة وتنظر إليّ من خلال الزجاج. نظرتها تمزقني. شفتاها تتحركان، لكنها لا تصدر صوتًا. أقرأ الكلمة بوضوح:

"اهربي."

قبل أن أستوعب، الزجاج يتحطم تحت قدميّ وأسقط. أسقط في ظلام كثيف يبتلع كل شيء. لا أعرف إن كان هذا سقوطًا أم موتًا جديدًا. كل ما أشعر به هو الفراغ، حتى أنني لم أعد قادرة على الإحساس بجسدي.

حين اصطدمت بشيء صلب، فتحت عينيّ ببطء. كنت في ممر طويل، جدرانه مبللة كأنها تتنفس رطوبة باردة. أضواء صفراء ضعيفة تلمع في السقف ثم تنطفئ فجأة. رائحة صدأ وعرق وبقايا دماء قديمة تملأ المكان.

أمشي بخطوات مترددة، أصابعي تلامس الجدران الخشنة. أسمع همسات خلفي. ألتفت... لا أحد. أستمر في السير، لكن الأصوات تقترب أكثر. كأنها تراقبني، أو ترافقني.

ألمح بابًا معدنيًا في نهاية الممر. هو نفسه الذي رأيته في الصورة الممزقة. أحسست بنبض قلبي يعلو حتى كدت أسمعه في أذني. كل خلية في جسدي تصرخ ألا أقترب، لكنني لا أستطيع التوقف.

وصلت إلى الباب، وضعت يدي على المقبض البارد. شعرت بشيء يتحرك خلفي. التفت بسرعة...

كان هناك وجه. لا، لم يكن وجهًا كاملًا... نصف وجه فقط، يطفو في الظلام. عين واحدة تحدق بي، بلا رمش. فم بلا صوت يتحرك ببطء. أقترب منه دون وعي حتى أستطيع قراءة ما يقوله.

"لا تفتحي."

تراجعت خطوة، لكن الباب انفتح وحده، بصوت صرير حاد اخترق أذني. خلف الباب... لم يكن هناك سوى الظلام. ظلام حيّ، يمتد كأنه يريد ابتلاعي.

"أدخلي"، قال الصوت من جديد.

"إما أن تدخلي الآن... أو تعودي إلى ما كنتِ عليه."

"وما الذي كنت عليه؟" صرخت، لكن لم أحصل على إجابة.

الظلام بدأ يقترب مني ببطء حتى شعرت بأنه يلتف حول قدميّ. رفعت نظري، كانت هناك يد تمتد من الداخل، يد شاحبة نحيلة، تعرف طريقي جيدًا. أمسكت بيدي بقوة. لم أقاوم.

وسُحبت إلى الداخل.

حين فتحت عينيّ وجدت نفسي في غرفة صغيرة، أشبه بزنزانة. الجدران مغطاة بخدوش وكلمات غير مفهومة. بعض الكلمات كانت متكررة... رمق... رمق... رمق.

في زاوية الغرفة، كان هناك شخص جالس، رأسه مطأطأ، شعره يغطي وجهه. بدا كأنه ينتظرني.

"من أنت؟" سألت بصوت مبحوح.

رفع رأسه ببطء... كان وجهي.

"أنا أنتِ." قال بصوتي نفسه.

شعرت بالبرد يسري في عروقي. "لا... هذا مستحيل."

اقتربت نسختي مني حتى شعرت بحرارة أنفاسها. همست في أذني:

"لقد هربتِ مرة... لكنك لن تهربي هذه المرة."

تراجعت للخلف، حتى التصقت بالجدار. الغرفة بدت أصغر، والهواء أثقل. النسخة مني ابتسمت ابتسامة باردة وقالت:

"تذكري... كل شيء بدأ هنا، وكل شيء سينتهي هنا."

صرخت وركضت نحو الباب، لكنه كان مغلقًا. التفتّ خلفي فلم أجدها. كنت وحدي.

"أنتِ لستِ وحدك." قال الصوت في رأسي.

الأرض بدأت تهتز تحت قدميّ، وكلمات "رمق" على الجدران تنزف دمًا أسود. كنت على وشك الانهيار حين فتحت الأرض فجأة تحتي، وسقطت مجددًا في فراغ آخر...

أسقط بلا نهاية، الصراخ يتردد في الفراغ كأنه يضاعف نفسه آلاف المرات. لا أعرف إن كان هذا صوتي أم أصوات من سبقوني. شعرت بيداي تمتدان بحثًا عن أي شيء أتعلق به، لكن الفراغ كان واسعًا جدًا، باردًا جدًا، حادًا كالسكاكين.

فجأة توقفت السقطة كما بدأت. جسدي ارتطم بأرض صلبة بشكل مفاجئ جعل الهواء يهرب من صدري. بقيت ملقاة للحظات لا أستطيع الحركة. الضوء هنا أخفت من أي مكان سابق. لا أستطيع رؤية أكثر من مسافة خطوة واحدة أمامي.

أسمع نبضًا. ليس قلبي، شيء آخر ينبض في الأرض تحت جسدي. وكأنه المكان حي. أزحف قليلًا فأصطدم بشيء معدني. إنها سلاسل. كثيرة، ملتفة حول أعمدة صدئة، بعضها يتحرك وحده، كأن هناك من يحاول الإفلات منها.

"أين أنا؟!" صرخت، لكن صوتي ارتدّ كصدى بطيء في أذني، وكأنه جاء متأخرًا.

سمعت همسات خلفي. التفت، الظلام ينساب مثل دخان كثيف، وفي وسطه ملامح وجوه غير مكتملة، شفاه تتحرك بلا صوت. اقتربوا أكثر حتى أحسست بأنفاسهم الباردة تلمس وجهي. حاولت التراجع لكن ظهري اصطدم بشيء صلب... باب معدني آخر.

"كم عدد الأبواب التي عليّ فتحها؟" فكرت.

صوت أنثوي خرج من الظلام:

"آخر باب... لكنكِ لستِ جاهزة."

ارتجفت. الصوت ذاته الذي سمعته من قبل.

"من أنتِ؟ لماذا تفعلين بي هذا؟"

"أنا الحقيقة التي تهربين منها."

اقترب الظلام حتى كاد يبتلعني. فجأة، اشتعل ضوء خافت في سقف المكان، أضاء دائرة صغيرة أمامي. في منتصف الدائرة كان هناك كرسي معدني، عليه دفتر قديم مغطى بالغبار.

اقتربت بحذر. الدفتر مفتوح على صفحة مكتوبة بخط غير منتظم. لم أفهم الكلمات في البداية. كانت خطوطًا متشابكة، مشوشة. لكن شيئًا فشيئًا بدأت تتضح الحروف. كانت كلها أسئلة.

"من أنا؟ أين أنا؟ لماذا أنا هنا؟ من الذي تركني؟"

كل الأسئلة التي كانت تدور في رأسي طوال الوقت مكتوبة هنا، لكن بخط يدي.

قلبت الصفحة التالية... صورة لي، وجهي واضح تمامًا، لكن عينيّ مفقودتان. كانت هناك كلمات مكتوبة تحت الصورة:

"حين تعودين بالذاكرة، سينتهي كل شيء."

صرخت وألقيت الدفتر بعيدًا.

الصوت الأنثوي عاد:

"تذكري."

"تذكّر ماذا؟! أنا لا أريد!"

شعرت بشيء يضغط على رأسي. صور بدأت تقتحم ذهني رغماً عني: غرفة بيضاء... أيدٍ تمسك بي... إبرة تخترق وريدي... أصوات كثيرة تقول اسمي... اسمي؟ ما هو اسمي؟

"أنتِ لستِ رمق. هذه كلمة النهاية... لكن البداية كانت شيئًا آخر."

بدأت أتنفس بسرعة. الاسم يتردد في داخلي لكن لا أستطيع التقاطه. كأن هناك حاجزًا يمنعني من الوصول إليه.

فجأة رأيت الباب المعدني يفتح وحده ببطء. خلفه نور قوي هذه المرة، نور يكاد يعمي عينيّ. سمعت الصوت الأنثوي يقول:

"اختاري. إمّا أن تدخلي الآن... أو تبقي هنا للأبد."

"لكنني لا أعرف شيئًا! ماذا سأفعل بالخارج؟!"

لم تجب. النور بدأ يضعف، والباب يغلق. اندفعت نحوه في آخر لحظة وقفزت.

وجدت نفسي في ممر طويل آخر، لكنه مختلف. هذه المرة كان مليئًا بالأبواب، كل باب مختلف عن الآخر. بعضها معدني، بعضها خشبي، بعضها شفاف يظهر خلفه ظلال تتحرك.

صوت جديد ارتفع من بعيد:

"كل باب يقود إلى ذكرى. لكنكِ لا تعرفين أيها حقيقي."

"لا أريد الذكريات، أريد الخروج!" صرخت.

"الخروج يبدأ من الداخل."

اقتربت من أول باب ومددت يدي لأفتحه. فجأة، سمعت أصوات بكاء أطفال خلفه. تراجعت. انتقلت إلى الباب الثاني، سمعت أصوات صراخ رجل. الباب الثالث، همسات مألوفة... لكنني لم أستطع تمييزها.

ثم لاحظت شيئًا. على الأرض أمام باب بعيد جدًا، كانت هناك آثار دماء صغيرة. شعرت بأن شيئًا ما يجذبني إليه.

اقتربت ببطء حتى وصلت أمامه. كان بابًا أبيض مائلًا للصفرة، عليه كلمة محفورة بخط كبير:

"العودة."

مددت يدي لأفتحه، لكن أصواتًا كثيرة بدأت تصرخ من كل اتجاه:

"لا تفعلي!"

"ستختفين!"

"لن تعودي أنتِ!"

تراجعت خطوة.

"ماذا يوجد خلف هذا الباب؟!"

لم يجبني أحد. لكن يدي تحركت وحدها، فتحت الباب...

لم يكن هناك سوى غرفة صغيرة جدًا، كزنزانة، وفي وسطها سرير حديدي. على السرير كانت هناك فتاة ممدة بلا حراك، وجهها مغطى بأجهزة وأسلاك. اقتربت ببطء، قلبي يكاد يتوقف. رفعت الغطاء عن وجهها...

كان وجهي.

لكن هذه المرة واضح، حي، نائم فقط.

شعرت ببرودة تقبض على صدري. لم أفهم شيئًا. هل أنا هذه الفتاة؟ هل هذا حلم؟ هل أنا شبحها؟

صوت أنثوي همس خلفي:

"هذا أنتِ... الجسد الذي تركته خلفك حين اخترتِ الرحيل."

"رحيل؟ متى؟ لماذا؟"

"كنتِ خائفة... وقررتِ الهروب. لكن الرمق الأخير بقي فيكِ... ولهذا أنتِ هنا الآن."

أشعر أنني على وشك الانهيار. "وما الذي يجب أن أفعله؟"

"إما أن تعودي لهذا الجسد... أو تتركينه للأبد."

أقف أمام جسدي وأنا أرتجف. كل ما فيّ يريد الاقتراب ولمسه، لكنني لا أعرف النتيجة.

هل سأستيقظ؟ هل سأموت؟

خطوة واحدة فقط... ثم خطوة أخرى... حتى أصبحت فوقه. وضعت يدي على صدري، وأغمضت عيني.

شعرت بجذب عنيف، وكأن العالم كله يبتلعني. رأيت جميع الأبواب التي مررت بها تنغلق في وجهي. سمعت الأصوات تصرخ، بعضها يحثني على البقاء، وبعضها يطلب مني الرحيل.

ثم... سكون.

فتحت عيني فجأة. وجدت نفسي في مكان غريب. نفس الغرفة التي رأيتها، لكن كل شيء حولي واضح الآن. الأجهزة تعمل، الأسلاك توصل بجسدي. كان هناك أشخاص يرتدون معاطف بيضاء يحيطون بي، أحدهم قال:

"إنها عادت!"

لم أفهم ما الذي يحدث. أردت أن أسألهم لكن لساني ثقيل. سمعت طبيبًا يقول لآخر:

"كانت في غيبوبة منذ شهور. كيف عادت بهذه السرعة؟"

شهور؟!

بدأت دموعي تنزل بلا إرادة. كل شيء حدث... هل كان مجرد غيبوبة؟ هل كل تلك الأبواب والظلال كانت من صنع عقلي؟

لكن حين رفعت يدي لأمسح دموعي، رأيت الكلمة محفورة بخط خافت على معصمي:

"رمق."

استيقظت... لكنني لم أشعر أنني عدت حقًا. كل شيء من حولي حقيقي جدًا لدرجة الألم: الضوء الأبيض القاسي، أصوات الأجهزة الطبية، رائحة المطهرات التي تخترق رئتيّ. جسدي ثقيل كأنه وُضع في قالب من الحديد.

سمعت خطوات تقترب، كانت الممرضة. ابتسمت لي ببرود وقالت:

"حمدًا لله على سلامتكِ... لقد عدتِ من بعيد."

حاولت أن أرد، لكن لساني كان مثقلاً، كأن الكلمات لم تعد تعرف طريقها إلى الخارج. اكتفيت بالنظر إليها بعينين تملؤهما الأسئلة. ابتعدت سريعًا لتخبر الأطباء.

الأطباء دخلوا الغرفة واحدًا تلو الآخر. أسئلة كثيرة أمطرتني: "هل تتذكرين اسمكِ؟ هل تعرفين أين أنتِ؟ منذ متى تشعرين بالوعي؟"

كنت أومئ برأسي بصعوبة. لكن السؤال الذي قتلني من الداخل لم يطرحه أحد: هل ما عشته كان حقيقيًا؟

حين خرج الجميع وبقيت وحدي، نظرت إلى معصمي. الكلمة كانت هناك... محفورة بخط باهت لكنه واضح:

"رمق."

برغم كل شيء، عرفت أنها ليست خداعًا من عقلي. عرفت أن ما رأيته... ما عشته... لم يكن حلمًا.

مرّت أيام بطيئة في المستشفى. الأطباء يتحدثون عني وكأنني لم أعد بشرًا: "عودة غير مفسرة"، "لا إصابات دماغية"، "ظاهرة نادرة". لم أكن أسمع سوى ضجيج أصواتهم بينما أفكاري تعيد كل لحظة من العالم الآخر.

كانت هناك أبواب كثيرة... كنت هناك أنا الأخرى... وأصوات لم أفهمها... والآن أنا هنا.

هل تركت شيئًا خلفي؟

هل عدت وحدي؟

كل ليلة حين أغلق عينيّ أشعر بنفس البرودة التي كانت في الفراغ، نفس الظلال التي تلتف حولي. أستيقظ مفزوعة، أبحث عن الأبواب التي كانت تطاردني فلا أجد سوى جدران المستشفى العقيمة.

حتى جاء ذلك الليل.

كنت شبه نائمة عندما سمعت الهمس. كان واضحًا جدًا هذه المرة، ليس في رأسي فقط، بل في أذني مباشرة:

"أنتِ تركتِ الباب مفتوحًا."

قفزت من السرير بذهول. نظرت حولي، الغرفة فارغة. لم يكن هناك أحد. لكنني سمعت صوت خطوات خفيفة تبتعد في الممر.

ترددت لحظة، ثم خرجت من الغرفة. المستشفى في الليل بدا مختلفًا. الأضواء خافتة، الممرات أطول من المعتاد. شعرت أنني عدت إلى الممرات التي كنت أراها هناك.

في نهاية الممر رأيت بابًا أبيض مفتوحًا قليلًا. هو نفسه الذي دخلته آخر مرة. قلبي بدأ يدق بعنف.

"لا... هذا مستحيل... أنا استيقظت... أنا عدت."

اقتربت بخطوات بطيئة، وكل شيء في داخلي يصرخ بأن أعود. لكنني لم أستطع. دفعت الباب ببطء...

الغرفة لم تكن غرفة مستشفى. كانت مظلمة، جدرانها نفس الجدران الملطخة التي رأيتها هناك. في المنتصف كان هناك شخص جالس على الأرض، رأسه بين يديه.

"من أنت؟" سألت بصوت مرتجف.

رفع رأسه ببطء. شعرت بالدم يتجمد في عروقي. كان أنا... نفس ملامحي... لكن وجهه شاحب وعيناه غارقتان في الظلال.

"أنتِ تركتِني هناك." قال بصوت مبحوح.

تراجعت خطوة. "ماذا... ماذا تعني؟ أنا عدت... أنا هنا!"

ابتسم ابتسامة باردة. "أنتِ هنا... لكنني أيضًا هنا. نحن لم نعد واحدًا بعد الآن."

شعرت بدوار شديد. "لا... هذا غير حقيقي."

نهض واقترب مني ببطء. "أنتِ اخترتِ العودة... وتركتِني عالقة في المنتصف. لكن الأبواب لا تُترك مفتوحة للأبد... سيأتي وقت الحساب."

أردت الصراخ لكن صوتي اختفى. فجأة، شعرت بالبرودة القديمة تلتف حولي. الظلال بدأت تتجمع من جديد في الغرفة، تقترب مني ومنه.

"ماذا تريدون؟"

صوته وصوتهم تداخلوا:

"رمق... ما زال فيكِ. والرمق الأخير يجب أن يُسترد."

حاولت الهرب، لكن الباب اختفى. وجدت نفسي عالقة في غرفة بلا مخرج، والنسخة مني تقترب أكثر فأكثر. ملامح وجهه بدأت تتشوه، وكأن شيئًا يخرج من داخله.

"لن تهربي هذه المرة." قال قبل أن يضع يده على وجهي. شعرت بحرارة حارقة، كأن روحي تُسحب من صدري.

ثم فجأة... ضوء ساطع ملأ الغرفة.

فتحت عينيّ لأجد نفسي مرة أخرى على سرير المستشفى، الأطباء من حولي يصرخون:

"ضغطها ينهار!"

"إنها تفقد الوعي!"

حاولت التمسك بالواقع، لكن كل شيء بدأ يتلاشى. سمعت صوتها – صوتي الآخر – يهمس في أذني:

"الباب لم يُغلق بعد... نحن لم ننتهِ."

فتحت عينيّ مرة أخرى في المستشفى. الضوء الأبيض الحاد اخترق جفنيّ كخنجر. حاولت النهوض لكن جسدي كان أثقل من قبل، كأن شيئًا يشدّني إلى السرير بقوة غير مرئية. سمعت أصوات الأطباء حولي، لكن أصواتهم بعيدة جدًا، مشوشة، كأنني تحت الماء.

"أهي ما زالت هنا؟"

"نعم... لكن بالكاد."

ما الذي يقصدونه؟ هل يتحدثون عن حياتي؟ أم عن شيء آخر؟

حاولت أن أستجمع قواي لأقول شيئًا، لكن لساني لم يطاوعني. نظرت إلى معصمي فوجدت الكلمة التي أصبحت تلاحقني:

"رمق"

لكن هذه المرة الحروف كانت أكثر وضوحًا، محفورة بعمق في جلدي، وكأنها تتغذى على وجودي.

مرّت ساعات لا أعلم عددها. المستشفى هادئ بشكل غريب، صامت إلا من أصوات الأجهزة. كل من حولي اختفى فجأة. لا ممرضات، لا أطباء. شعرت بشيء غير طبيعي في الجو.

"الباب لم يُغلق بعد... نحن لم ننتهِ."

الصوت عاد، يهمس في أذني من العدم. التفت حولي في رعب. لا أحد.

فجأة، الأضواء في الممرات بدأت تنطفئ واحدة تلو الأخرى. قلبي يدق بسرعة. الغرفة تغرق في ظلام كامل. حين عادت الأضواء للحظة خاطفة، رأيتهم: الظلال. تقف عند نهاية الممر، بلا وجوه، بلا أجساد واضحة.

نهضت من السرير ببطء رغم ضعفي. خطواتي تتعثر لكنني لم أستطع البقاء هناك. خرجت إلى الممر الفارغ. المكان أطول مما كان، الجدران متآكلة كأنها تعود لعالم آخر.

"أين أنا؟" همست لنفسي.

"أنتِ في المنتصف... دائمًا في المنتصف."

الصوت هذه المرة كان خلفي. التفت بسرعة. كانت أنا. النسخة مني التي تركتها هناك. وجهها مشوه أكثر، عينان سوداوان، ابتسامة مشقوقة لا تشبهني.

"لماذا تتبعينني؟!"

اقتربت مني بخطوات بطيئة. "لأنكِ لم تكملي الطريق. أخذتِ جسدكِ وعدتِ... وتركتِني في ظلام لا نهاية له. لكن العالمين لا يمكن أن يتقاسما نفس الروح."

تراجعت للخلف حتى اصطدمت بالجدار. الظلال بدأت تحيط بنا، أصواتها كأنها صدى آلاف الهمسات.

"ما الذي تريدينه مني؟!"

مدّت يدها باتجاهي. "أريد الرمق الأخير... أريد أن أكونكِ.

شعرت بأنفاسي تختفي. الغرفة بدأت تدور حولي. فجأة، انفتح باب جانبي في الممر. نور ساطع اندفع منه. صوت داخلي – لم يكن صوتها – قال:

"ادخلي... قبل فوات الأوان."

ركضت بكل قوتي نحو الباب. سمعت النسخة الأخرى تصرخ ورائي، صرخة مزّقت أذنيّ. الظلال حاولت الإمساك بي لكنها ذابت مع الضوء. عبرت الباب وأغلقته خلفي بقوة.

وجدت نفسي في غرفة صغيرة للغاية. كانت خالية إلا من مرآة كبيرة في منتصفها. اقتربت ببطء. هذه المرة رأيت انعكاسي بوضوح.

لكن شيئًا ما لم يكن صحيحًا. العيون التي تحدق بي من المرآة لم تكن عيناي. كان هناك شيء آخر خلفهما.

"أنتِ لم تهربي. أنتِ فقط اخترتِ السجن الأصعب."

مدّت يدي ألمس سطح المرآة، لكنه لم يكن صلبًا. كان لينًا كالماء. فجأة، يد أخرى – ليست يدي – خرجت من الزجاج وأمسكت بي بقوة. حاولت التراجع لكن الجدار خلفي اختفى.

سُحبت إلى الداخل.

وجدت نفسي في عالم آخر. ضباب كثيف يغطي كل شيء. أصوات بكاء وصراخ تتردد من بعيد. أمامي كانت هناك أبواب كثيرة، أكثر من أي مرة سابقة. كل باب يحمل رموزًا غريبة لا أفهمها.

"ما الذي يحدث؟!" صرخت.

صوت مألوف أجابني: "كل باب يقود إلى مصير مختلف. أنتِ اخترتِ العودة سابقًا... لكنكِ تركتِ شيئًا خلفكِ. الآن عليكِ أن تختاري ثانية."

"اختار ماذا؟!"

"إما أن تعودي وتُغلقي الباب للأبد... أو تتركيه مفتوحًا ويخرج كل ما فيه إلى العالم."

شعرت بالبرد يسري في عروقي. إذا خرجت تلك الظلال إلى العالم...

"كيف أغلق الباب؟!"

لم يجبني أحد. لكن أحد الأبواب انفتح فجأة أمامي. الضوء بداخله قوي جدًا. عرفت أنه هو الباب الأخير.

خطوت داخله، وجدت نفسي في المستشفى مجددًا. كل شيء طبيعي، كأن شيئًا لم يحدث. سمعت صوت الأطباء والممرضات يعود كما كان. لكن شيئًا ما بدا مختلفًا.

اقتربت من المرآة الصغيرة في الغرفة لأتأكد أنني ما زلت أنا. انعكاسي كان عاديًا... لكنه ابتسم فجأة.

لم أبتسم.

تراجعت خطوتين إلى الخلف، أنفاسي تتقطع. الانعكاس ابتسم... وأنا لم أبتسم. لم يكن مجرد وهم. هناك شيء آخر في الداخل... شيء يتحكم في ملامحي. وضعت يدي على المرآة بحذر، انعكاسي لم يكرر الحركة، بل بقي ينظر إليّ، مبتسمًا كأنه يعرف شيئًا لا أعرفه.

"لماذا تفعلين هذا؟" همست بصوت مرتجف.

لكن فمي في المرآة تحرك أخيرًا:

"لأنكِ تركتِ الباب مفتوحًا."

ارتجفت. "أغلقتُه! أقسم أنني أغلقتُه!"

ابتسامة أوسع، لا تشبهني:

"لا يمكن إغلاق ما وُلد من داخلك."

فجأة، سطح المرآة بدأ يتموج كالماء. عيناي في الانعكاس تحولت إلى سواد كامل، ثم سمعت طرقات قوية على الجدار خلفي. التفت بسرعة... لم يكن هناك أحد. الطرقات تزداد قوة، الجدران تهتز.

"اخرجي قبل فوات الأوان"، قال صوت داخل رأسي.

لكنني لم أستطع التحرك. كل شيء تجمد. انعكاسي مدّ يده من المرآة وأمسك معصمي. حاولت المقاومة، لكن قوة هائلة شدتني إلى الداخل.

فتحت عينيّ لأجد نفسي في الممر الطويل مرة أخرى. نفس الممر الذي كان مليئًا بالأبواب. لكن هذه المرة الأبواب كلها مفتوحة، والظلال تتدفق منها إلى كل اتجاه.

"لا! هذا لا يمكن أن يحدث!"

حاولت الركض لإغلاق الأبواب، لكن كل باب أغلقته ينفتح من جديد، أقوى من ذي قبل. الأصوات تصرخ، تضحك، تبكي. شعرت أنني أغرق في فوضى لا يمكن السيطرة عليها.

فجأة رأيت أنا الأخرى تقف في نهاية الممر. لكنها الآن كاملة الملامح. نفس وجهي، نفس جسدي، لكن في عينيها ذلك السواد العميق.

"أنتِ السبب في كل هذا!" صرخت وأنا أقترب منها.

"وأنتِ السبب في عودتي." قالت بهدوء مرعب. "كل ما فعلته كان هروبًا. لكنكِ لا تستطيعين الهروب من نفسك للأبد."

حاولت الهجوم عليها لكنها تلاشت كالدخان. وجدت نفسي أهاجم الفراغ.

الظلال بدأت تحيط بي من كل جانب، تحاصرني. سمعت صوتًا جماعيًا، آلاف الهمسات تتكلم في وقت واحد:

"العالمان سيندمجان. هذا ما اخترتهِ."

"لم أختر شيئًا!" صرخت، لكنهم لم يتوقفوا.

شعرت بالأرض تتشقق تحت قدميّ. فجأة، سقطت مرة أخرى في ظلام لا نهاية له. لكن هذه المرة لم يكن سقوطًا حرًا. كانت الظلال تمسك بي، تجذبني نحوها.

"لاااا!"

استيقظت في سريري بالمستشفى مرة أخرى. تنفست بسرعة وأنا أتحسس جسدي. كل شيء يبدو طبيعيًا. لكن الغرفة كانت صامتة على نحو غير طبيعي.

اقتربت من الباب، فتحته ببطء. الممر فارغ تمامًا، الأضواء كلها مطفأة. سمعت ضحكة مكتومة تأتي من الداخل.

التفت نحو الغرفة... المرآة ما زالت هناك. لكنها لم تكن تعكسني هذه المرة. كانت تعكس الممر المليء بالأبواب، مفتوحة كلها، والظلال تتدفق من خلالها إلى الخارج.

انعكاسي ظهر فجأة في وسطهم، ينظر إليّ مبتسمًا. قال ببرود:

"العالم الآخر بدأ. هذه ليست قصتك وحدك بعد الآن."

ثم تحطمت المرآة إلى ألف شظية.

ركضت إلى الممر... كان قد تغيّر بالكامل. الأبواب نفسها بدأت تظهر على الجدران الحقيقية للمستشفى. أصوات بكاء، صرخات، همسات تتسرب من خلفها. الباب الأقرب انفتح فجأة، وخرجت منه امرأة غريبة الملامح، عيناها تلمعان بالسواد. خلفها أطفال صغار يبكون.

أدركت الحقيقة البشعة: العالم الآخر تسرب إلى الواقع.

كل شيء بدأ يتداعى. الجدران تنهار، الأرض تهتز، الأبواب تتكاثر. لم يعد هناك خط فاصل بين "هنا" و"هناك".

صوت أنا الأخرى يملأ المكان:

"الرمق الأخير ليس لكِ وحدك بعد الآن... بل لكل من سيعبر."

أدركت حينها أنني لم أعد وحدي في هذه المعركة. كل شخص في هذا المستشفى – وربما في الخارج – أصبح مهددًا بأن يُسحب عبر الأبواب.

تقدمت خطوة إلى الأمام، قلبي يدق بقوة. كنت أعرف أنني لا أملك خيارًا آخر. يجب أن أغلق الأبواب... أو أدخلها جميعًا.

كنت أسمع أصوات الأبواب وهي تُفتح في كل مكان. كل باب يجرّ خلفه صرخات وهمسات وصدى خطوات تقترب. لم أعد في مستشفى. أو ربما المستشفى تحوّل إلى شيء آخر... شيء لا يشبه أي مكان حقيقي.

الأضواء في الممرات تومض قبل أن تختفي تمامًا، تاركة المكان في ظلام خانق. لكن الظلام لم يكن ساكنًا... كان حيًّا. كان يتحرك ويتنفس حولي، أرى العيون السوداء الصغيرة تلمع داخله كأنها تراقبني.

"إما أن تصبحي الحارس... أو الضحية التالية."

الجملة تكررت في رأسي كأنها تعويذة. لكن كيف يمكنني أن أكون "الحارس"؟ وكيف سأغلق كل هذه الأبواب وحدي؟

خطوت خطوة للأمام في الممر. الأرض لم تعد ثابتة. شعرت وكأنني أمشي على شيء يتحرك أسفل قدمي. سمعت همسات كثيرة تختلط مع أنفاسي:

"لقد فتحتِ الطريق لهم... لن تغلقيه أبداً."

"كل ما تركته خلفك سيعود."

تجاهلت الأصوات وحاولت أن أستجمع شجاعتي. وصلت إلى أول باب كان نصف مفتوح. دفعت الباب بحذر، وفجأة اندفع الظلام من الداخل وكاد يبتلعني. تراجعت بسرعة وأغلقته بكل قوتي، لكن الباب ارتجّ وكأن شيئًا يحاول فتحه من الداخل.

صرخت: "توقّفوا!"

لكن الصوت الآخر بداخلي – ذلك الذي يشبهني – ضحك. "لن يتوقفوا إلا عندما يأخذوا كل شيء."

ركضت في الممر الطويل الذي لا ينتهي. الأبواب على جانبيّ كانت تُفتح واحدًا تلو الآخر، وكيانات غريبة تخرج منها. وجوه بلا ملامح، أجساد طويلة ملتوية، أطفال يبكون لكن أصواتهم مشوهة كأنها تأتي من مكان بعيد.

حاولت إغلاق الأبواب، لكن الأعداد كانت أكبر مني. كنت وحدي وسط هذا الطوفان.

فجأة سمعت صوتًا مألوفًا يناديني باسمي – اسمي الذي لم أعد أتذكره. التفت لأرى أنا الأخرى تقف في نهاية الممر. هذه المرة كانت تبتسم بثقة كأنها تنتظرني.

"تعالي يا حارس الأبواب." قالت بصوتي.

"أنا لست الحارس!" صرخت فيها.

اقتربت خطوة خطوة. كل ظل في المكان توقف عن الحركة حين اقتربت. "أنتِ الوحيدة القادرة على إغلاق هذا المكان للأبد. لكنكِ تعرفين الثمن."

"أي ثمن؟!"

ابتسمت ابتسامة باردة. "لن تعودي. لن تستيقظي في العالم الذي تعرفينه مرة أخرى."

الهواء أصبح أثقل. كل عين في الظلال كانت تحدق بي. شعرت بالدوار. "أنا لا أستطيع..."

أنا الأخرى وضعت يدها على كتفي. شعرت بالبرودة تتسلل إلى أعماقي. "إذا لم تفعلي، لن يبقى عالم لتعودي إليه."

كانت هناك لحظة صمت طويلة. ثم قالت: "تعالي معي. سأريك الطريق."

تقدمت معي في الممر، وأشارت إلى باب مختلف عن الآخرين. كان أضخم وأغمق، وعلى سطحه كانت محفورة كلمة واحدة: "المنبع."

"هذا هو الباب الأول، والبداية والنهاية لكل الأبواب الأخرى."

سألتها: "وماذا يحدث إذا فتحته؟"

"لن تفتحيه... ستدخليه. ثم ستغلقينه من الداخل."

شعرت أن الدم يتجمد في عروقي. "هل هذا يعني أنني...؟"

هزّت رأسها. "نعم. لن تعودي."

تراجعت للخلف خطوة. "لا أستطيع. أنا..."

قاطعتني بعنف: "كل من في الخارج سيسقط إذا لم تفعلي. الأبواب لن تتوقف عن التمدد. ستصل إلى كل مكان. كل شخص ستقابليه سيصبح واحدًا من الظلال التي رأيتها."

أغلقت عينيّ بقوة، دموعي تنزل بلا توقف. "لماذا أنا؟!"

"لأنكِ من فتحتِ الباب أولاً."

تذكرت كل شيء. تذكرت لحظة قراري بالهروب، تركت نفسي الأخرى هناك، تركت كل شيء مفتوحًا.

فتحت عينيّ وقلت: "دليني على الطريق."

اقتربت من الباب. يديّ ترتعشان. وضعت أصابعي على المقبض. شعرت بتيار كهربائي يسري في جسدي. الظلال حولي بدأت تصرخ، بعضها تراجع إلى الأبواب الأخرى.

"هل ستأتين معي؟" سألت أنا الأخرى.

ابتسمت. "أنا الطريق. لكن القرار قراركِ."

ضغطت على المقبض. الباب فتح ببطء شديد، واندفع منه ضوء قوي كاد يعمي بصري.

دخلت.

الضوء اختفى فجأة. وجدت نفسي في مكان فارغ تمامًا. لا أبواب، لا ظلال، لا شيء سوى مساحة بلا نهاية.

"أين أنا؟" همست لنفسي.

الصوت الداخلي أجابني: "في البداية. هنا كل شيء بدأ... وهنا كل شيء سينتهي."

رأيت من بعيد صندوقًا صغيرًا، نفس الصندوق الذي رأيته من قبل. اقتربت منه بحذر. فتحته.

كان داخله مرآة صغيرة جدًا. نظرت فيها. هذه المرة لم أرَ نفسي. رأيت كل الأبواب التي تركتها خلفي، كل العالم الآخر وهو يتسرب إلى العالم الحقيقي.

صوت آخر قال لي: "أغلقيه."

"كيف؟"

"بالتخلي."

شعرت أن الأرض تحت قدميّ تختفي. بدأت أفقد الإحساس بجسدي. كانت المرآة تلمع بقوة أكبر، ثم انفجرت فجأة إلى شظايا.

في اللحظة نفسها، سمعت أصوات الأبواب تُغلق واحدة تلو الأخرى. صرخات الظلال تتلاشى. كل شيء ينهار من حولي.

"هل... انتهى الأمر؟" همست.

أنا الأخرى ظهرت أمامي. لم تكن ابتسامتها هذه المرة باردة. "أنتِ أغلقته. لكنكِ لن تعودي إلى حيث كنتِ."

"وماذا سيحدث لي؟"

"ستبقين هنا... مع البداية والنهاية."

أردت أن أصرخ، لكن صوتي اختفى. العالم كله أصبح هادئًا، ساكنًا. لا ظل، لا ضوء، لا أبواب. فقط الفراغ.

هل هذا موتي؟ أم أنني أصبحت شيئًا آخر؟

فجأة سمعت صوت طرق قوي على شيء ما. أمامي ظهر باب وحيد، على سطحه الكلمة التي لا تفارقني: "رمق."

مددت يدي لأفتحه، لكن الباب انفتح وحده... ومن خلفه رأيت العالم الحقيقي. المستشفى، الأطباء، الممرضات. رأيت نفسي مستلقية على السرير، وجسدي يتنفس بهدوء.

ثم رأيت شيئًا آخر: الظلال كانت هناك أيضًا، تتسلل بين أقدامهم دون أن يشعروا.

أنا الأخرى ظهرت بجانبي وهمست:

"لم ينتهِ شيء بعد... العالم سيظل مفتوحًا طالما هناك رمق واحد."

كل شيء عاد ساكنًا. كنت أنظر من خلف الباب إلى جسدي المستلقي على سرير المستشفى... جسد بلا صوت، بلا حراك. الأطباء يتحركون من حوله، يرفعون الأجهزة، يضعون محاليل، ينادونني بأسماء لا أذكرها.

لكن لم أكن وحدي التي تراقب.

الظلال بدأت تتكاثر في الزوايا، تمر بجوارهم، تلمس جدران الغرفة، تندس في فتحات الضوء، كأنها تتغذى على نسيانهم. لا أحد يراها. فقط أنا.

"هل ترينهم؟"

كان صوتها... صوتي الآخر، خلفي.

لم أجب. كنت أعرف الآن أنها لم تكن مجرد كيان توأمي... بل مرآة لما أخفيت. وكلما أنكرته، تجسّد فيها.

"سيأخذون العالم قطعة قطعة، رمقًا بعد رمق. كل نفس لم يُفهم، كل صرخة لم تُسمع، كل ذكرى تُركت خلف باب... سيخرجون منها."

"لماذا؟"

"لأنكِ فتحته. لأنكِ عُدتِ."

أردت أن أصرخ أنني لم أطلب العودة. أنني كنت مستعدة للفناء في الفراغ، أنني أغلقته!

لكنّ الصمت كان أقوى. الفراغ يعرف الحقيقة.

نظرت ثانية إلى العالم من خلال الباب: رأيت الطفلة التي تصرخ في حضن أمها... لكنها لا تصدر صوتًا. رأيت الطبيب الذي يبكي في الزاوية وحده... ثم تمرّ فوقه ظلٌّ أسود فيختفي النور من عينيه.

رأيتهم... جميعهم.

ضحايا غير مرئيين.

ثم التفتت هي نحوي وقالت:

"نحن لا نُغلق الأبواب... نحن نختار من يحرسها."

كان عليّ أن أختار.

إما أن أبقى هنا، في المنتصف، أراقب...

أو أن أعود، بجسد لا يحتمل، وروح ممزقة، وأحارب.

لكن الحرب لن تكون ضد الظلال فقط.

بل ضد الحقيقة.

لأن الحقيقة لم تكن يومًا خارجيّة...

بل كانت دومًا أنا.

أغمضت عينيّ.

خطوت.

اخترت الباب.

فتحت عينيّ على صوت صفارات الإنذار. المستشفى لم يكن كما كان. كان مغطى بالظلام... ليس ظلام الليل، بل ظلام "هم".

الأجهزة لا تعمل. الزجاج مكسور.

الممرات مليئة بأصوات البكاء والضحك والهمس.

رأيت الممرضين يركضون وهم يصرخون. البعض يسقط أرضًا ويختفي. البعض الآخر ينظر في المرآة، فيبتلعها وجهٌ بلا ملامح.

صرخت:

"أوقفوا المرايا! أكسروا كل المرآة! إنها الأبواب الآن!"

لكن لا أحد يسمعني. كأنني أتكلم من عالم ميت.

ثم رأيتها... طفلة صغيرة، تقف وحدها، عيناها تنظران في اللاشيء.

اقتربت منها.

"هل ترينهم؟" سألتها.

أومأت ببطء.

"إنهم يأتون من الضوء... ليس من الظلام."

فهمت.

الأبواب هذه المرة لن تخرج من الزوايا...

بل من كل لحظة تجاهلنا فيها الحقيقة.

كل ابتسامة زور، كل كذبة نقولها لنهرب من أنفسنا.

أصبحت الأبواب الآن بلا مفاتيح.

تُفتح على اتساع العالم.

في اليوم الثالث... لم يعد هناك مستشفى.

استيقظت في مدينة فارغة.

المباني قائمة، لكن النوافذ مفتوحة، والشوارع مليئة بصور عائلات بلا أعين.

اللافتات مشوّهة.

الراديو يبث فقط همسات.

أدركت أنني لم أعد "أنا".

صرت شيئًا جديدًا... لا أنتمي لهذا الجسد، ولا لذاك العالم.

أنا الحارس.

الحارسة الأخيرة، كما كانت تقول.

مررت أمام مرآة متجر، فرأيت امرأة ترتجف خلف الزجاج، تطرق بيدين داميتين.

كانت أنا... مرة أخرى.

"كم منّا تبقى؟" سألتها.

قالت:

"بقدر ما تُغلقين، تنقسمين."

وفي شارع جانبي...

رأيت الباب.

لكن هذه المرة لم يكن يحمل كلمة "رمق".

كان يحمل كلمة واحدة فقط:

"نحن".

فتحته.

الداخل لم يكن فراغًا.

كان عالمًا كاملاً.

أشخاص من الماضي والحاضر، جميعهم هناك.

أشخاص فقدتهم، تجاهلتهم، نسيتهم.

وكل منهم يهمس بكلمة واحدة:

"لماذا تركتني؟"

حاولت الرد، لكن صوتي لم يخرج.

كنت أعرف:

لكل باب أغلقته، تركت ظلًا خلفه.

لكل ذكرى سحقتها، صارت صدًى هنا.

ثم جاء الطفل.

الوحيد الذي لم يلومني.

أمسك بيدي وقال:

"لن تغلقي الباب هذه المرة. بل ستدخليه وتبقين."

"وماذا عن العالم؟"

"العالم بدأ ينسى نفسه... هو لا يحتاجك."

صرخت فيه:

"لكنني الحارس!"

قال بهدوء:

"إذن احرسي نفسك أولاً. العالم سيُغلق من تلقاء نفسه... إذا أغلقتِ داخلك.

حينها فقط... فهمت.

الظلال لم تكن تأتي من الأبواب.

بل منّا.

من كُتل الندم، والكره، والخوف، والذكريات المشوّهة.

كل من يهرب من ماضيه... يفتح بابًا.

وكل من يدفن صوته... يخلق ظلًا.

أغمضت عينيّ للمرة الأخيرة.

فعلت ما لم أفعله من قبل.

لم أُغلق الباب.

بل مشيت خلاله... وبقيت.

لم أعد أعرف كم مرّ من الوقت منذ أن عبرت الباب الأخير. كل شيء من حولي بدا بلا زمن، بلا بداية أو نهاية. كنت أمشي وسط الضباب الثقيل الذي يغطي كل شيء، صوت خطواتي يكاد يختفي قبل أن أصل لسماعه.

كلما مشيت أكثر، ظهرت ملامح أشخاص من الماضي. وجوه أعرفها، لكنها متغيرة... كأنها تسألني أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها. كانوا يقتربون ثم يختفون في الهواء، تاركين خلفهم همسات غير مكتملة.

"لماذا تركتني؟"

"ألم تعديني بالعودة؟"

"من أنتِ أصلًا؟"

شعرت بثقل هذه الأسئلة يسحبني للأسفل. كنت أصرخ في داخلي أنني لم أترك أحدًا، أنني فقط حاولت النجاة، لكن لا أحد يسمعني. الحقيقة أنني لم أعد متأكدة إذا كنت أحاول النجاة أم أهرب فقط من نفسي.

توقفت فجأة أمام مرآة كبيرة ظهرت وسط الضباب. هذه المرة كان انعكاسي طبيعيًا، ملامحي واضحة، عينيّ نظيفتان من السواد الذي اعتدت رؤيته فيهما.

اقتربت ببطء، مدت يدي لألمس سطح الزجاج البارد. فجأة شعرت بشيء يسحبني للخلف. كان هناك ظل ضخم يقف خلفي. التفت... كان مختلفًا عن كل الظلال السابقة. أطول، أعمق، عيونه أشبه بثقوب تبتلعني من الداخل.

"من أنت؟" سألته.

اقترب مني حتى شعرت بأنفاسي تتجمد. قال بصوت ثقيل يهز المكان:

"أنا كل ما دفنتيه."

بدأ الظلال يخرجون من الأرض من حولي، واحدًا تلو الآخر. كانوا يشبهونني... لكن كل واحد منهم يحمل ملامح جزء منّي حاولت نسيانه: الخوف، الذنب، الغضب، الوحدة.

أدركت الحقيقة المرعبة:

هذه لم تكن أشباحًا غريبة. هذه أنا.

"لن أسمح لكم بالعودة للعالم!" صرخت وأنا أحاول صدّهم.

ضحك الظل الأكبر ضحكة صاخبة:

"العالم ليس ملككِ. لكنه مفتوح بفضلكِ."

اقترب مني أكثر.

"لقد تركتِ الباب مفتوحًا. كل شيء بدأ يتسرب... ولن يتوقف حتى تصبح الأرض مثل هذا المكان."

سقطت على ركبتيّ. "أنا... لم أقصد..."

"المقاصد لا تُغلق الأبواب."

شعرت بأن شيئًا ما في داخلي ينكسر. لكن فجأة سمعت صوتًا آخر، أضعف لكنه مألوف. كان الطفل الذي أمسكني بيديّ في المرة السابقة. ظهر أمامي وسط الضباب.

"ما زال هناك وقت." قال بهدوء.

"وقت؟ لأفعل ماذا؟ لقد فقدت كل شيء."

"لستِ وحدكِ. هناك من ينتظرك خلف الأبواب."

فجأة تغير المشهد من حولي. رأيت كل الأبواب التي أغلقتها من قبل، لكن هذه المرة لم تكن مظلمة. كان هناك أشخاص خلفها يطرقون بشدة. أيديهم تدمي وهم يحاولون الخروج.

أدركت أنهم ليسوا ظلالًا... بل أرواح حقيقية... أشخاص سقطوا في المنتصف مثلي.

الطفل قال:

"أنتِ الحارس. ليس لتغلقي... بل لتعيدي من ضلّ."

كل شيء أصبح واضحًا فجأة. طوال هذا الوقت كنت أظن أن دوري هو الإغلاق، إبعاد الظلال عن العالم... لكن هذا لم يكن كافيًا. الأبواب لن تختفي إلا إذا أعدت من فُقدوا خلفها.

"لكن كيف؟"

"ادخلي كل باب. أعيدي من تستطيعين... حتى ينطفئ الرمق الأخير."

وقفت ببطء. الظل الأكبر اقترب مني ليمنعني، لكنني نظرت في عينيه وقلت:

"لن أهرب هذه المرة. سأدخل الأبواب جميعها."

ضحك بصوت يهزّ المكان.

"لن تخرجي منها. ستضيعين معهم."

"ربما. لكن على الأقل لن أتركهم هنا."

بدأت أركض نحو أول باب. فتحته دون خوف. الضوء اندفع نحوي، ورأيت خلفه امرأة مسنّة تجلس في زاوية مظلمة، تبكي بلا صوت. مدت يدها نحوي. أمسكت بها وسحبتها خارج الباب.

الظل الأكبر صرخ:

"ستضعفين أكثر مع كل شخص!"

لكنني لم أتوقف. فتحت الباب الثاني، ثم الثالث. الأطفال الذين كانوا يبكون خرجوا معي. رجل لم يتوقف عن ترديد اسم شخص يحبه خرج معي أيضًا.

بدأت أشعر أن جسدي يتفكك، أنني أخسر طاقتي مع كل باب، لكنني لم أعد أهتم.

وصلت إلى الباب الأخير. كان أثقل من كل ما فتحته من قبل. على سطحه كانت محفورة كلمة واحدة: "أنا".

وضعت يدي عليه. شعرت بحرارة غريبة تملأ جسدي. ثم سمعت صوتها – صوتي الآخر – خلفي.

"إذا فتحته... لن تعودي أبدًا."

التفت إليها. كانت أقرب من أي وقت سابق، ملامحها أصبحت مثالية. قالت:

"هذه النهاية الحقيقية. إن دخلتِ، لن يبقى منك شيء."

"وهل بقي مني شيء أصلًا؟" قلت بصوت مبحوح.

ابتسمت بخفة. "ربما لا. لكن ربما هذا كل ما نحتاجه لنغلق الدائرة."

فتحت الباب.

الضوء هذه المرة كان مختلفًا. لم يكن أبيض، بل ذهبي دافئ. سمعت أصواتًا كثيرة... ليست صرخات ولا همسات... بل كلمات حب وطمأنينة.

دخلت.

وجدت نفسي في عالم يشبه ذكرياتي الأجمل: البيت الذي كنت أعيش فيه صغيرًة، أصوات من أحببت، رائحة الماضي الذي فقدته. لكنني كنت أعرف أن هذا ليس حقيقيًا.

كانت هناك فتاة صغيرة في المنتصف... أنا، في أكثر صورة براءة لي. اقتربت مني وقالت:

"هل عدتِ لتأخذيني؟"

انحنيت لأحتضنها. "جئت لأعيدكِ إلى حيث ننتمي."

في تلك اللحظة، شعرت بكل شيء ينهار من حولي. الضوء ابتلعني. سمعت صوت الأبواب تغلق للأبد. ثم سكون...

فتحت عينيّ. كنت على الأرض في مدينة خالية. الظلام اختفى. الأبواب اختفت. العالم كان ساكنًا، لكنني عرفت أن شيئًا ما تغيّر.

أنا الأخرى لم تكن معي هذه المرة. لكن صوتها بقي في داخلي:

"كل باب أغلقته ترك أثرًا. سيأتي يومٌ يُفتح فيه من جديد... وسيحتاج العالم إلى حارس آخر."

نظرت حولي. رأيت طفلًا صغيرًا يراقبني من بعيد. اقترب وقال:

"هل انتهى كل شيء؟"

ابتسمت لأول مرة. "لا... هذه فقط البداية.

النهاية المفتوحة للجزء الثالث

الصوت الأخير يهمس في أذنك:

"الرمق الأخير ما زال موجودًا... لكنه ليس ملككِ وحدك الآن."

لم أكن أعلم كم من الوقت مرّ منذ أن أغلق الباب الأخير. كان العالم ساكنًا بشكل غير طبيعي، صامتًا كأن الأرض فقدت أنفاسها الأخيرة. نظرت حولي... المدينة التي كنت أعرفها لم تعد كما كانت.

الطرقات خالية، النوافذ مغلقة، السماء مغطاة بسحابة رمادية كثيفة تحجب الشمس. شعرت بشيء يخبرني أنني لست وحدي.

"الرمق الأخير ما زال موجودًا... لكنه ليس ملككِ وحدك الآن."

الصوت تردّد في داخلي. لكنني لم أعد أميّز إن كان صوتي الآخر أم مجرد صدى للحقيقة.

بدأت أتحرك في الشوارع الخاوية، أبحث عن أي علامة حياة. شعرت بشيء يراقبني من الزوايا. كنت أرى حركات خفيفة خلف الستائر الممزقة للنوافذ، لكن حين أقترب، يختفي كل شيء.

فجأة، سمعت صوت طرق قوي يأتي من شارع جانبي. تبعته بحذر حتى وصلت إلى باب قديم في جدار حجري مهدم. الباب كان نصف مفتوح، ومن داخله ضوء باهت يتسرّب إلى الخارج.

اقتربت ببطء. كان على الباب كلمة محفورة: "العبور."

قبل أن ألمسه، سمعت صوت خطوات خلفي. استدرت بسرعة لأرى شابًا في العشرينات، عيناه حادتان، شعره مبعثر كأنه لم ينم منذ أيام. رفع يديه بحذر وقال:

"انتظري! لا تفتحيه وحدك!"

تراجعت خطوة للخلف. "من أنت؟"

اقترب ببطء: "أنا مثلكِ... رأيت الأبواب. منذ ظهرت في مدينتنا ونحن نعيش في كابوس. الناس تختفي واحدًا تلو الآخر."

نظرت إليه بريبة. "كيف عرفت أنني... لست واحدة منهم؟"

ابتسم بخفة. "لأنني أرى الظلال حولكِ... لكنها لا تلمسكِ."

صمتُّ للحظة، ثم سألته: "وما الذي تريد فعله؟"

"علينا أن نغلق هذه الأبواب قبل أن يصبح العالم كله مثل هذا المكان. لكننا لن نستطيع فعلها وحدنا. هناك آخرون مثلكِ... نجوا من المنتصف."

فجأة، خرج من الظل شخص آخر. امرأة في الأربعينات، ملامحها متعبة لكن في عينيها قوة غريبة. قالت:

"هو محق. نحن قليلون... لكننا الحراس الجدد. العالم يحتاجنا جميعًا."

كنت أستمع إليهما وأنا أحاول فهم ما يحدث. "حراس؟!"

أومأت المرأة. "منذ أن بدأت الأبواب في الظهور، عرفنا أننا مختلفون. نحن الوحيدون القادرون على رؤيتها وإغلاقها. لكننا لا نعرف من أين جاءت... أو من يفتحها."

تقدمت خطوة وقالت بثبات:

"أنتِ الأقدم بيننا... أغلقتِ الدائرة الأولى. نحتاجكِ لتقودينا. كل باب أصبح أقوى من السابق، وكل ظل أكثر شراسة."

شعرت بالبرد يسري في عروقي. لم أكن أريد القيادة. بالكاد أستطيع تحمل نفسي. لكنني كنت أعلم أن الهروب لم يعد خيارًا.

"كم عددنا؟" سألت بصوت مبحوح.

"ثمانية." أجاب الشاب. "لكننا فقدنا ثلاثة الأسبوع الماضي... الأبواب تزداد عددًا."

فتحنا باب "العبور" معًا. الضوء الذي انبعث منه كاد يعمينا للحظة. حين دخلنا، وجدنا أنفسنا في مدرسة مهجورة. الممرات كانت مليئة بالرسوم على الجدران، أطفال بلا وجوه يركضون ويضحكون بأصوات مخيفة.

قالت المرأة بصوت منخفض:

"هذا أحد الأبواب الجديدة. علينا أن نجد مركزه ونغلقه."

كنت أشعر بالضغط يتزايد في رأسي كلما تقدمنا. الظلال تقترب منا، تحاول إرباكنا. أحد الأطفال ظهر فجأة أمام الشاب، وعيناه السوداوان تتوهجان. قبل أن نتمكن من منعه، أمسك يد الشاب واختفى معه في الظلام.

صرخت باسمه، لكن لا صوت خرج. المرأة أمسكت ذراعي بقوة:

"لا تتوقفي. إن توقفتِ... سنصبح مثله."

وصلنا إلى غرفة في نهاية الممر. كانت مليئة بالمرايا الكبيرة. كل مرآة تعكس مشهدًا مختلفًا من الماضي. رأيت نفسي طفلة، رأيت من فقدتهم، رأيت كل ما حاولت نسيانه.

قالت المرأة:

"المفتاح هنا... علينا أن نكسر الانعكاسات. إن بقيت ستظل الأبواب مفتوحة."

بدأت أحطم المرايا واحدة تلو الأخرى. كل مرآة تتحطم كانت تطلق صرخة مدوية ودماء سوداء تتدفق منها. الظلال كانت تصرخ من الألم، لكنها لم تتراجع.

آخر مرآة كانت مختلفة. لم تعكسني... بل عكست المرأة التي معي. وقبل أن نتمكن من كسرها، يد خرجت منها وأمسكتها.

"لا!" صرخت وأنا أحاول سحبها، لكن المرآة ابتلعتها بالكامل.

سقطت على الأرض منهارة. كنت وحدي الآن. كل شيء حولي بدأ ينهار. عرفت أنني إن لم أغلق الباب الآن، لن أستطيع الخروج.

ركضت إلى المركز، مكان الطاقة الأقوى. وقفت وسط الدوامة السوداء وأغمضت عينيّ.

"لن أهرب هذه المرة... لن أترك أي باب مفتوحًا."

شعرت بالقوة تخرج مني. الأرض تهتز، الظلال تصرخ. ثم فجأة... صمت تام.

فتحت عينيّ لأجد نفسي في نفس المدينة الخاوية. لكن هذه المرة لم تكن كما تركتها. بدأت تظهر فيها وجوه جديدة... أشخاص لا أعرفهم، يبدو أنهم خرجوا من الأبواب التي أغلقتها.

الطفل الذي رأيته في المنتصف من قبل اقترب مني. قال:

"لن تتمكني من إنقاذ الجميع. لكنكِ تستطيعين أن تمنحيهم فرصة."

"وهل هذا يكفي؟"

ابتسم بخفة. "حتى يغلق الرمق الأخير... هذا كل ما نستطيع فعله."

رفعت عينيّ إلى السماء. السحب الرمادية بدأت تتفرق قليلًا، لكنني كنت أعلم أن هذا مؤقت. كل باب أغلقناه قد يُفتح من جديد.

أنا الآن لست مجرد ناجية.

أنا الحارس.

والحراس لا يعرفون النهاية.

لم أعد أعرف كم باب أغلقت ولا كم روح أعدت من المنتصف. كلما أغلقنا بابًا، يظهر آخر في مكان جديد. المدن تتحول تدريجيًا إلى أطلال، والناس يعيشون في خوف دائم من الأبواب التي قد تظهر في أي لحظة داخل بيوتهم أو حتى في أحلامهم.

كنت أمشي في شارع مغطى بالغبار، مبانٍ مهدمة، ولافتات مشوهة تتأرجح مع الريح. أسمع الهمسات في كل مكان، تذكرني بأن الحرب لم تنتهِ.

"الرمق الأخير ما زال هنا... لن تنهيه وحدك."

كنت أعرف ذلك. لم أعد وحدي بعد الآن. الحراس الآخرون تجمعوا حولي. كنا خمسة فقط من أصل ثمانية. كل واحد منا يحمل أثرًا لما فقده: نظرة شاردة، جرح لا يلتئم، أو قلب لم يعد يعرف الأمان.

في تلك الليلة اجتمعنا في مبنى مهجور، نخطط لخطوتنا القادمة. الشاب الذي التقيته أول مرة – اسمه آسر – كان يتحدث بصوت منخفض:

"هناك باب مختلف ظهر منذ يومين. لا يمكن إغلاقه بالطريقة المعتادة. كلما اقتربنا منه نشعر أن شيئًا يجذب أرواحنا نحوه."

سألته المرأة التي فقدت نصف يدها في معركة سابقة: "هل هو الباب الأخير؟"

هزّ رأسه: "لا أعلم. لكنه أكبر من أي باب رأيناه. وكأن جميع الأبواب الأخرى تقود إليه."

نظرت إليهم وقلت: "إذا كان هذا هو المنبع... يجب أن نواجهه معًا. ربما نغلق كل شيء دفعة واحدة."

تحركنا في اليوم التالي نحو الباب. كان في وسط ساحة ضخمة كانت يومًا ما قلب المدينة. الآن أصبحت مجرد دائرة من الخراب. الباب كان هائلًا، أعلاه يصل إلى السماء الرمادية. محفور عليه رموز غريبة تتحرك كأنها حيّة.

عندما اقتربنا شعرت بأنفاسي تُسحب مني. الظلال تجمعت حولنا بأعداد لا تُحصى، تصرخ وتزمجر. أدركنا جميعًا أن هذا ليس كأي باب آخر.

وفجأة... خرج من الظلال كيان ضخم، أطول من المباني من حوله. جسده مصنوع من الضباب الأسود، وعيونه فجوات تبتلع الضوء. صوته هزّ الأرض:

"أنتم الحراس... من يظنون أنهم قادرون على إغلاق ما لا يُغلق."

وقفنا أمامه بلا حراك. كان الرعب يشلّ حركتنا. لكنني تقدمت خطوة للأمام وقلت: "أنت الكيان الذي يقف خلف كل هذا... لماذا تفعلون ذلك؟"

ضحك ضحكة عميقة. "نحن لا نفعل... أنتم من تفعلون. أنتم من تصنعون الأبواب بكل خوفكم وندمكم وأكاذيبكم. نحن مجرد من يسكنها."

آسر صرخ: "هذا ليس صحيحًا! نحن نحمي العالم منكم!"

التفت إليه الكيان بعينين كهاويتين وقال: "أنتم من يفتح لنا الطريق كل يوم... بذكرياتكم... بأخطائكم. كل باب يُغلق... يولد آخر أقوى منه."

أدركت وقتها أننا لم نكن نغلق شيئًا بالفعل. كنا فقط نؤخر النهاية. لكن لم يكن أمامنا خيار آخر.

صرخت في الحراس: "يجب أن نصل إلى مركز الباب! إذا أغلقناه من الداخل ربما نوقفه!"

بدأنا الركض وسط الظلال. كل ظل نحطمه يتضاعف من جديد. شعرت بقلبي يكاد ينفجر من شدة الجهد.

عندما وصلنا إلى مركز الساحة، رأينا فجوة في الأرض تؤدي إلى أعماق غير مرئية. من هناك كان الباب ينبض كأنه قلب العالم.

قالت المرأة ذات اليد المبتورة: "سأبقى هنا وأغطيكم... أدخلوا أنتم."

"لا!" صرخت. لكن قبل أن أتمكن من إيقافها، ألقت بنفسها على الظلال لتفتح لنا الطريق. صرخاتها اختفت سريعًا وسط زحام الأصوات.

دخلت مع آسر والحارسين الآخرين إلى الفجوة. كنا نسقط في هوة بلا نهاية حتى وجدنا أنفسنا في عالم أبيض فارغ. في المنتصف كان هناك مرآة ضخمة، أكبر من أي شيء رأيناه من قبل.

اقتربت منها ببطء. كان انعكاسي فيها مشوهًا، لكنني رأيت شيئًا آخر... أنا الأخرى.

"أنتِ هنا مجددًا." قالت بصوت خافت.

"أنتِ السبب في كل هذا!" صرخت.

هزّت رأسها: "أنا فقط انعكاسكِ... كما أن الظلال انعكاس لكل شيء رفضتم مواجهته."

اقترب آسر وقال: "كيف نغلق هذا الباب؟"

ابتسمت أنا الأخرى ابتسامة حزينة:

"لا يمكنكم إغلاقه إلا إذا واجه كل واحد منكم ما تركه خلفه. هذا الباب لن يُغلق بالقوة... بل بالتخلي."

بدأ كل واحد منا يرى ما يخشاه أكثر. آسر رأى أخته التي فقدها وهي تلومه. أحد الحراس رأى طفله الصغير يبكي. أما أنا... فرأيت نفسي الصغيرة، تلك التي تركتها خلف الباب منذ البداية.

اقتربت مني وقالت: "سترحلين عني مرة أخرى، أليس كذلك؟"

دموعي انهمرت. "لا... لن أترككِ هذه المرة."

احتضنتها بشدة. شعرت بشيء يندمج في داخلي. فجأة شعرت بقوة مختلفة... ليست قوة خارقة، بل صفاء غريب.

سمعت صرخات الظلال تتلاشى. المرآة بدأت تتشقق. لكن الكيان الأصلي ظهر أمامنا من جديد، أكبر من أي وقت مضى.

"لن تدفنونا! نحن أنتم!"

أمسك المرآة بيديه الهائلتين ليمنعها من الانهيار.

صرخت: "الآن!"

كلنا وضعنا أيدينا على المرآة في اللحظة نفسها. الضوء اندفع منها ليملأ المكان. الكيان صرخ صرخة اهتز لها العالم. ثم فجأة... انفجر كل شيء.

فتحت عينيّ لأجد نفسي على الأرض في الساحة نفسها. الباب العملاق اختفى. الظلال تبخرت. الحراس الذين بقوا أحياء كانوا بجانبي.

لكن شيئًا ما بدا مختلفًا. السماء لم تعد رمادية. كان هناك نور خافت يملأ الأفق.

آسر قال وهو يلهث: "هل انتهى الأمر؟"

نظرت إلى معصمي. الكلمة التي كانت محفورة دائمًا... رمق... اختفت.

ابتسمت لأول مرة منذ زمن. "ربما... لكن الرمق الأخير لا يختفي أبدًا."

فجأة، سمعت صوت طرق خلفي. التفت بسرعة. كان هناك باب صغير في حائط متهالك. لم يكن هناك منذ لحظات.

نظرت إلى الحراس وقلت: "يبدو أننا لم ننتهِ بعد."

كانت المدينة ساكنة... ساكنة بشكل مريب. بعد المعركة الأخيرة، اختفت الأبواب من كل مكان. لم يعد هناك همسات، ولا ظلال تتحرك في الزوايا. الناس بدأوا يعودون تدريجيًا لحياتهم، لكنني كنت أعلم أن شيئًا ما لم ينتهِ بعد.

الحراس القلائل الذين نجوا اجتمعوا معي في آخر مكان جمعنا فيه القدر. وجوههم تحمل التعب والخذلان، لكن خلفها بصيص أمل أننا ربما أوقفنا الكارثة.

آسر نظر إليّ وقال: "هل انتهى الأمر؟"

لم أجب فورًا. كنت أنظر إلى معصمي. الكلمة التي لاحقتني طويلاً... رمق... لم تعد محفورة هناك. ربما هذا دليل أننا أغلقنا الدائرة أخيرًا. لكن داخلي لم يشعر بالسلام.

"لا أعلم." قلت بصوت مبحوح. "كل ما نعرفه أننا أوقفنا هذا الباب. لكن الأبواب لم تأتِ من الخارج... الأبواب بداخلنا.

في تلك الليلة، غادرتهم وحدي. لم أعد أحتمل أن أكون القائدة التي تنتظر بابًا آخر لتفتحه أو تغلقه. مشيت في شوارع المدينة حتى وصلت إلى ضفة النهر.

جلست هناك طويلاً، أستمع لصوت الماء. لأول مرة منذ شهور شعرت أنني أتنفس بحرية.

لكنّ الهدوء لم يدم طويلًا.

من بعيد، سمعت صوت طرق ضعيف. التفتّ ببطء، ورأيت... بابًا صغيرًا، يطفو على سطح الماء، يقترب نحوي مع التيار.

وقفت ببطء، أنفاسي تتسارع. كنت أعرف أنني إذا تركته يذهب... لن ينتهي شيء.

مددت يدي نحوه. الباب كان باردًا كالجليد. شعرت بكل الأبواب التي أغلقتها من قبل، بكل الأرواح التي فقدتها.

سمعت صوتها – صوتي الآخر – يهمس في أذني:

"لن تنتهي الأبواب... ما دمتِ تتنفّسين."

ابتسمت ابتسامة حزينة.

"إذن... سأكون الحارس للأبد."

فتحت الباب.

الضوء اندفع نحوي، ابتلع كل شيء. لم أشعر بالخوف هذه المرة. لم أكن أدخل عالمًا جديدًا أو أهرب من آخر... كنت أواجه نفسي أخيرًا.

آخر ما رأيته قبل أن يختفي كل شيء كان انعكاسي في الضوء. هذه المرة لم يكن هناك ابتسامة ساخرة... فقط هدوء.

"الرمق الأخير... لم يعد ملكي وحدي."